تنمية المجموعات في البيئة الرقمية

د/ عبدالله بن محمد الشايع

قسم المكتبات والمعلومات
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

مقدمة:

تلعب المتغيرات الراهنة خصوصا تلك المتعلقة بالنواحي الاقتصادية والتقنية دورا كبيرا في تغيير بيئة العمل التقليدية والخدمات التي تقدمها المكتبات ومراكز المعلومات. فعلى سبيل المثال، شهدت بعض الأنشطة الفنية في المكتبات مثل الفهرسة والتصنيف إضافة إلى خدمات الإعارة والخدمات المرجعية وغير ذلك من الأعمال الأخرى تطورات كبيرة سواء من حيث طريقة القيام بهذه الأنشطة والخدمات أو في الأدوات المستخدمة للقيام بها في المكتبات. وتنمية المجموعات ليست بمنأى عن هذا التأثير حيث مر هذا النشاط بتطورات مختلفة خلال السنوات الخمسين أو الستين الماضية ومنذ ظهوره في منتصف القرن الميلادي الماضي. إلا أن التطورات التقنية والرقمية الراهنة خصوصا شبكة الانترنت والتنامي الكبير لمصادر المعلومات الالكترونية بمختلف أشكالها أصبحت تشكل مؤثرا بارزا في طرق ووسائل تنمية مجموعات المكتبات وطبيعة هذا النشاط إلى مستوى حدى بالبعض أن يتساءل عن قيمة هذا النشاط بالمكتبة والحاجة له. ومع ذلك فإن الظروف الراهنة تؤكد أهمية هذا النشاط كمتطلب ضروري لتقديم خدمات معلوماتية متقدمة ترقى والمستوى الذي يتطلع إليه المستفيدون من المكتبات إذا تم القيام به بالشكل الصحيح والمناسب.

مفهوم وماهية تنمية المجموعات:

كغيره من المفاهيم والمصطلحات الأخرى في مجال المكتبات، يعتري مصطلح تنمية المجموعات الكثير من الجدل حول تعريفه وماهيته.

فنرى على سبيل المثال عدد من المصطلحات التي تعبر عن هذا النشاط مثل تنمية المجموعات، وإدارة المجموعات، وإدارة المحتوى ... الخ.

وبعيدا عن هذا الجدل نجد أن هذا النشاط يتعلق بشكل عام بالإجراءات والعمليات التي تتم في المكتبات من اجل اختيار واقتناء وصيانة وحفظ وتطوير مصادر معلومات المكتبة بهدف توفير الخدمات التي يحتاجها أفراد المجتمع وتلبية حاجاتهم المعلوماتية بأفضل الطرق الممكنة.

من هنا يرى Evans (2000) وهو احد أشهر الذين كتبوا عن تنمية المجموعات أن هذا النشاط يعني "العملية التي تهدف لتوفير الحاجات المعلوماتية للمجتمع بطريقة اقتصادية وفي الوقت المناسب وباستخدام مصادر المعلومات داخل المكتبة وخارجها" (ص 16-17).

ويرى الكاتب نفسه أن هذا النشاط ينطوي على مجموعة من العمليات أو الأنشطة الفرعية هي دراسة وتحليل المجتمع، ووضع سياسات لتنمية المجموعات، والاختيار، والتزويد (الاقتناء)، والتقييم، والتنقية.

ولعل من المناسب التنبيه في هذا المقام للضعف أو الخلل الذي يعتري نظرة المكتبات العربية والعاملين بها لهذا النشاط بالتركيز على جانب واحد هو التزويد وإهمال الجوانب الأخرى خصوصا دراسة وتحليل المجتمع والتعرف على حاجاته المعلوماتية ووضع السياسات اللازمة التي تساعد على بناء وتطوير المجموعات بشكل صحيح ومفيد. من هنا فإن المطلوب إعادة النظر في ممارسة المكتبات في العالم العربي لهذا النشاط في ظل التطورات التقنية والرقمية التي تشكل تحديا للمكتبات أن لم تبني مجموعاتها وتسعى على تطويرها بالأساليب والطرق المنهجية والمهنية الصحيحة.

التطورات التقنية وتنمية مجموعات المكتبة:

لعبت تقنيات المعلومات ومنذ ظهورها دورا مؤثرا واضحا في تنمية مجموعات المكتبات. بدأ بها الدور في أول أمره باستخدام الحاسب الآلي بأشكاله الأولية في أواخر الخمسينيات والستينيات الميلادية لتحويل بعض أعمال التزويد التقليدية مثل إدخال البيانات وطباعة القوائم بالمواد المطلوب اقتنائها، وإصدار أوامر التوريد والشراء، ومتابعة الطلبات والأسعار بالمواد المتأخرة، وسداد المستحقات وإدارة الميزانيات... الخ من الطرق التقليدية اليدوية الى الشكل الآلي.

ثم تلى ذلك في السبعينات والثمانينات الميلادية ظهور قواعد البيانات الببليوجرافية سواء من خلال الاتصال المباشر Online أو على الاسطوانات المضغوطة CD-ROMs والتي استخدمت بشكل كبير في أغراض الاختيار وتحديد المصادر التي تحتاجها المكتبة مما أدى إلى تحسين نشاط الاختيار في المكتبات.

وفي أواخر الثمانينات وخلال التسعينات الميلادية تطورت أنظمة المكتبات الآلية المتكاملة Integrated Library Systems التي أدت إلى أتمتة الكثير من أنشطة تنمية المجموعات سواء الاختيار أو التزويد أو تقييم المجموعات وتنقيتها ... الخ.

إلا أن التأثير القوي للتقنية في تنمية المجموعات بالمكتبات برزت بشكل واضح مع التطورات الهائلة والكبيرة في شبكات المعلومات والمصادر الرقمية وما نتج عنها من أساليب جديدة في اختيار وتوفير مصادر المعلومات وإتاحتها للمستفيدين وتقديم الخدمات لهم، ومن هذه الأساليب الجديدة اقتناء المصادر بناء على مبدأ الإتاحة بدلا من التملك (Access vs.ownership) والإتاحة المجانية للمعلومات (Open access to information) وازدياد الاعتماد على الاشتراكات لإتاحة المعلومات بدلا من شرائها وغير ذلك من الظواهر الجديدة في تنمية وتطوير مجموعات مصادر المعلومات.

بناء وتطوير مجموعات المكتبات الرقمية:

تعد المكتبات الرقمية من المظاهر الحديثة جدا في خدمات المعلومات التي بدأت بالظهور والانتشار بشكل فعلي مع ظهور وتطور شبكة الانترنت بالرغم من أن هذا المفهوم ليس بالجديد.

ومن أهم العوامل التي أدت إلى الاهتمام بهذه المكتبات والعمل على إنشائها هو التطور الكبير والسريع في نوعية وحجم مصادر المعلومات الرقمية (الالكترونية) إضافة إلى التطورات البارزة في وسائل وتقنيات تحويل المصادر التقليدية المطبوعة إلى الأشكال الرقمية.

ومع ازدياد التوجه لإنشاء هذا النوع من المكتبات ونموها بشكل كبير برزت الحاجة إلى الاهتمام بالمصادر التي تحتويها وتتيحها للمستفيدين منها. من هنا بدأ الحديث يظهر حول الكيفية التي تتم بها بناء وتطوير مجموعات هذه المكتبات. ورغم ان هذا المجال لازال في بداياته وفي إطار التجارب، إلا أن بناء وتطوير مجموعات المكتبات الرقمية بشكل عام يتم من خلال أربعة طرق رئيسة هي:

1- التحويل الرقمي للمصادر التقليدية المطبوعة التي لديها Digitization.

2- اقتناء المكتبة للمصادر التي أنتجت بشكل رقمي من قبل الناشرين التجاريين وغير التجاريين Acquisition of original digital information resources .

3- الاشتراك بالمصادر الرقمية الخارجية وإتاحتها من قبل المكتبة دون امتلاكها Access to external electronic resources not held in the library .

4- إتاحة المصادر المجانية المتوفرة على شبكة الانترنت وتوفير الروابط لها من موقع المكتبة للدخول إليها من قبل المستفيدين Linking to free web sites.

وصاحب هذا الاهتمام بمجموعات المكتبات الرقمية بعض المحاولات لوضع معايير ومبادئ لبناء وتطوير مجموعات هذا النوع من المكتبات مثل تلك التي اقترحتها الهيئة الوطنية لمعايير المعلومات (NISO) الأمريكية بعنوان:

NISO Framework Advisory Group. A Framework of Guidance for Building Good Digital Collections, 2nd Edition. Bethesda, MD: National Information Standards Organization, 2004.